مقياس مدخل إلى علم النفس

المحاضرة الثالثة: مدارس علم النفس

من إعداد: د. شافية بن حفيظ.

تمهيد: مع تزايد الدراسات النفسية وتنوعها، وتشعب المواضيع التي تتناولها، ظهرت العديد من النظريات، ونمت بشكل أدى إلى تكوين عدة مدارس سيكولوجية متميزة، تتفق في أهدافها الأساسية وتختلف في بعض مناهجها وتصوراتها ودلائلها، وسنحول في هذه المحاضرة إلقاء الضوء على أهم المدراس في علم النفس.

1- **تعريف المدرسة:** هو اتجاه عام لدراسة الشخصية والسلوك الإنساني وعلى هذا الأساس فإن المدرسة تشمل كل الاتجاهات الفرعية (النظرية) التي تشترك في الإيمان بمجموعة من المسلمات والفرضيات الأساسية في تفسير الشخصية والسلوك الإنساني.

2- **تعريف النظرية:** مجموعة من الحقائق العلمية (التي هي في الأصل عبارة عن فرضيات تم التحقق منها ولقيت التأييد)، أو الافتراضات (مسلمات علمية أو فلسفية)، بينها روابط منطقية.

إن النظرية في الأساس عبارة عن تصور لدى صاحب النظرية عن طبيعة الظاهرة أو المشكلة التي يحاول شرحها، وتتأيد النظرية بالبيانات المجموعة بطريقة علمية حتى تختبر الفرضيات المستمدة من النظرية، وقد يتم رفضها واستبدالها في حال عجزها عن شرح الظاهرة التي تتصدى لها.

3- **مدرسة التحليل النفسي : Psychoanalysis :** نشأ هذا الاتجاه وترعرع على يد" سيجموند فرويد" الذي يعتبر بحق الأب الروحي لعلم النفس، وهو أحد علماء الطب العقلي في فينا، وانطلق فرويد في تفسيره لسلوك الإنسان من أسس بيولوجية، وافترض اتساقا مع منطلقاته بأن سلوك الإنسان محكوم بغرائز فطرية لاشعورية في معظمها، وهذه القوى الخفية التي تحكم سلوك الإنسان تمثل رغبات طفولية قوية لم يرض عنها المجتمع فعاقبها عقابا شديدا إلى الدرجة التي أبعدت عن حيز التفكير الشعوري للفرد إلى مناطق اللاوعي، فالعمليات اللاشعورية إذن عبارة عن الأفكار والرغبات والمخاوف التي لا يعيها الفرد، والتي تعمل على الرغم من ذلك على التأثير في سلوكه، ويظهر تأثير هذه الرغبات اللاشعورية من خلال متنفسات عدة منها الأحلام وزلات اللسان والتعبيرات المرضية وبعض ألوان النشاط الفني. وهناك برأي فرويد مجموعتان كبيرتان من الغرائز هما غرائز الحياة المتمثلة في الجنس، وغرائز الموت المتمثلة في العدوان، ويرى فرويد ان حياة الإنسان سلسلة متصلة من الصراعات بين غرائز الحياة والموت، كما أن

فرويد يعتقد أن سلوك الإنسان غرضي، على الرغم من أن الغرض من هذا السلوك قد لا يكون واضحا دوما، وفي هذه الحالات يكون الغرض غالبا إرضاء دافع لاشعوري مكبوت.

هذا وقد أشارت هذه المدرسة إلى مفاهيم شاعت في علم النفس وفي بقية العلوم الإنسانية مثل عقدة أديب والتي تتمثل في تعلق الطفل الذكر بالأم، وعقدة إلكترا والتي تتمثل في تعلق الطفلة الأنثى بالأب.

ولقد بحث فرويد في الجنس، وعزا الاضطرابات النفسية إلى نزعة أطلق عليها اسم الليبيدو **Libido** ، أو الطاقة الجنسية، وهو يرى أن للشخصية الإنسانية منظمات ثلاثة هي:

الهوid : منبع الغرائز والرغبات غير المشروعة وغير الأخلاقية.

الأنا Ego : يوفق بين مطالب الهو والبيئة الخارجية مع اعتبار أوامر الأنا الأعلى.

الأنا الأعلى Super Ego : ممثل لمبادئ المجتمع الأخلاقية ومعاييره أو ضميره.

وأما عن مراحل نمو الشخصية عند الفرد فإن الطفل يمر بمراحل نفسية جنسية محددة وهي الفم والشرج والقضيب، وقد يتوقف هذا النمو عند مرحلة معينة، ويمكن تفسير شخصية الراشد تبعا للمرحلة النفسية الجنسية التي ثبت عندها، أو وصل إليها.

ومع أن آراء فرويد تعرضت للنقد من جهات متعددة، إلا أن آراءه في مكونات الشخصية المؤلفة من الهو **id**، والأنا **Ego** ، والأنا الأعلى **Super Ego** ما تزال تحظى بالقبول في دوائر علم النفس الإكلينيكي، كما أن طريقته في العلاج النفسي ما تزال تستخدم في علاج حالات العصاب.

تقييم النظرية: رغم أن هذه المدرسة نشأت في ميدان الطب وعلاج المصابين بأمراض واضطرابات نفسية إلا أنها تطورت لبحث الكثير من نواحي علم النفس للعاديين وتفسير سلوكهم، لكنها بالغت في اعتبار أن الكثير من السلوكيات تلعب فيها الغرائز المكبوتة (اللاشعور) الدور الأكبر، كما أن لها نظرة تشاؤمية للطبيعة البشرية.

4- المدرسة السلوكية (السلوكية لواطسون):

يعد "جون واطسون" "John Watson" مؤسس الحركة السلوكية وأشدّ نقاد الحركة البنيوية، إذ أن النتائج التي يتم التوصل إليها باستخدام الاستبطان يصعب اثباتها أو نفيها.

إن "واطسون" من أشدّ دعاة ضرورة اقتصار الدراسة السيكولوجية على السلوك الظاهر والملاحظ والقابل للقياس؛ إذ يعد هذا السلوك الأساس الصالح لأن يكون موضوع لعلم النفس. وعرف علم النفس من قبل "واطسون" بأنه: " فرع من فروع العلوم الطبيعية يتعامل مع السلوك الإنساني (الأقوال والأفعال)، متعلمة أو غير متعلمة ويعتبر موضوعا له ".

إن السلوك الإنساني حسب "واطسون" هو سلسلة من الارتباطات بين مثيرات بيئية (حدث بيئي)، وسلوكات (حركة عضلية مرئية أو ردّ فعل فسيولوجي يمكن أن يلاحظ ويقاس) تصدر عن الفرد استجابةً لهذه المثيرات مثال:

رائحة الطعام ←——— الجوع

يؤدي

المدح ←——— السعادة

إهانة، استفزاز ←——— الغضب

فقدان شيء أو شخص عزيز ←——— الحزن

صوت مفاجئ ←——— خوف

ويطلق "واطسون" على المجموعة التي على اليمين مثيرات وعلى المجوعة التي على اليسار استجابات. كما صرح أن التفكير هو سلوك داخلي يقوم به اللسان والحنجرة فهو نوع من الحديث الصامت بين الفرد ونفسه.

وتجدر الإشارة إلى أن ما ساعد على ازدهار الحركة السلوكية اسهامات العلماء "إيفان بافلوف" وإيدوارد ثورندايك" و"سكينر"، حيث قدم "بافلوف" مفهوما جديدا وهو "الاستجابة الشرطية " " Conditional Response" أو "الاشتراط الكلاسيكي" "Classical conditioning" مثير شرطي + مثير طبيعي + التكرار ← استجابة شرطية.

أما "ثورندايك" فتوصل إلى قوانين فسر من خلالها ظاهرة التعلم وأبرز هذه القوانين "قانون الأثر" الذي ينصّ على أن السلوكات التي تتبع بنتائج إيجابية (مُرْضِيَة) سوف تَقْوَى بينما تضعف السلوكات التي تُتْبَع بنتائج سلبية (غير مُرْضِيَة)، ثم صاغه "سكينر" على صورة " السلوك محكوم بنتائجه".

4-1- مفاهيم أساسية في النظرية السلوكية: أهم المفاهيم والمبادئ التي تتعلق بالنظرية السلوكية هي:

- السلوك الإنساني المتعلم: فالسلوك الإنساني متعلم يكتسبه الفرد من محيط سواء كان السلوك سويا أو مضطربا وبما أنه متعلم إذن يمكن تعديله وتغييره ليصبح سلوكا مرغوب فيه ومقبولا.
- الإقتران: ويقصد به التجاور الزمني لحدوث مثيرين أحدهما مثير محايد لا يستجر من قبل الكائن الحي، والآخي يمتاز بقدرته على استجرار ردة فعل طبيعية (الاستجابة).
- المثير والاستجابة: كل سلوك له مثير فإذا كانت العلاقة بين المثير والاستجابة علاقة سامية منسجمة فإنها تنتج السلوك السوي.

4-2- مسلمات المدرسة السلوكية: تقوم المدرسة السلوكية كما افترضها واطسون على مسلمات أساسية هي:

- التطورية: تعني الاستمرارية التطورية بين الإنسان وغيره من الكائنات الحية، وأن الاختلاف بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان اختلافا كميا وليس كيفيا، أي أن الاختلاف يكون في مستوى تعقيد أو تركيب السلوك.
- الحتمية: وتعني السببية المطلقة للسلوك؛ في هذه النظرية السلوك نتيجة حتمية للمثيرات البيئية.

– العلمية: وتعني أن الأسلوب العلمي كالملاحظة والتجريب هو الأسلوب الوحيد الذي يجب أن تتم به دراسة السلوك ليكون علم النفس علما طبيعيا.

– الإختزالية: وتعني أن أي سلوك مركب يمكن اختزاله أو تحليله إلى عناصره الأولية.

وتجدر الإشارة إلى بعض خصائص المدرسة السلوكية:

– رفض الراديكاليون دراسة العمليات العقلية الشعورية واللاشعورية على اعتبارها موضوعات غير قابلة للملاحظة وبالتالي غير قابلة للدراسة.

– يرى السلوكيون أن الاضطرابات هي المرض نفسه وهي مل يجب التوجه لعلاجه.

– لا يعترف "واطسون" بمفهوم الغريزة، وفي رأيه فإن كل مظاهر السلوك التي تبدو غريزية في ظاهرها هي استجابات متعلمة.

– يرى أن الانفعالات هي ببساطة استجابات جسمية لمثير معين.

– يرى واطسون أن التفكير لا شيء سوى سلوك حركي ضمني، وأشار إلى أن التفكير شأنه شأن بقية الوظائف النفسية، وهو سلوك حركي حسي من نوع ما، ودلل على ذلك بأن سلوك التفكير متضمن حركات الكلام.

4-3- تقييمها: لقد استخدمت هذه النظرية في مجال التعلم والدافعية، لكن بالرغم من التأثير الكبير للفكر السلوكي في امريكا خلال الفترة من(1930 إلى 1950)، فقد اظهرت عجزا كبيرا في تفسير السلوك والشخصية الانسانية، ولذا فقد بدأت رحلة تراجع التأثير في الولايات المتحدة وبالتالي العالم مع بدايات الخمسينات من القرن العشرين ، ويعود ذلك كون رواد هذه المدرسة بالغوا في تفسير السلوك في كونه سلسلة الأفعال المنعكسة وما يحدث لهذه الأفعال من ترابطات. لذا تعرضت للنقد حيث تم اتصافها بالجمود والآلية كونها تجاهلت الكثير من التفاعلات النفسية ونظرت للإنسان على أنه كائن سلبي وسلوكه مرهون بالبيئة.

5- **المدرسة الإنسانية (علم النفس الإنساني) La psychologie humaniste:** إذا كانت السلوكية والتحليل النفسي هما القوتان الأولى والثانية، فإن علم النفس الإنساني هو القوة الثالثة في علم النفس، ترى هذه المدرسة السلوك بصورة مختلفة، حيث تعتقد أن السلوك ليس محكوما بدوافع لاشعورية، كما أنه ليس محكوماً بمثيرات خارجية صادرة عن البيئة، وبدلاً من ذلك فهم يرون أن الإنسان حر ولديه إرادة ووعي وقدرة على الإبداع، كما أن لديه القدرة على أن يحقق ذاته، وتحقيق الذات عبارة عن عملية مستمرة طول الحياة نفسها وليست هدفاً نهائياً يستطيع الفرد أن يصل إليه، ويعد كل من "إبراهام ماسلو" و"كارل روجرز" من أوائل قادة هذه المدرسة.

5-1- **مبادئها:** تركز هذه المدرسة على مبادئ نظرية الذات التي وضعها كارل روجرز، حيث ترى أن الإنسان مدفوع بطبيعته لفعل الخير، وأن الدافع الأساسي عنده هو نزعته إلى النمو وتحقيق الذات،

فالإنسان دائم البحث عن الأعمال والنشاطات التي تساعده على تحقيق طاقاته إلى أقصى مدى ممكن. وقد يتعرض الفرد إلى الكثير من المعوقات المادية والاجتماعية إلا أن نزعته الإنسانية تبقى هي تحقيق الذات. فهي تنظر إليه على أنه يتمتع بالإرادة الحرة والقدرة على اتخاذ القرارات وأنه قادر على التحكم في حياته وسلوكه وبالتالي فهو ليس أسيرا للمثيرات البيئية أو الدوافع اللاشعورية. ولهذا يرى علماء الاتجاه الإنساني أن وظيفة عالم النفس هي أن يكتشف في كل إنسان حقيقته وإعانته على تحقيقها من خلال التوجيه والإرشاد، وفي ضوء النظرة المعرفية السابقة يحاول علم النفس الإنساني أن يقدم تصورا جديدا لطبيعة الشخصية الإنسانية بوصفها كيان دينامي فاعل وليس سلبيا رادا للفعل. كيان يتميز بالتعقل والنية الواعية والقدرة على الاختيار والتخطيط والسعي الهادف في حركة صاعدة وتطور مفتوح النهاية.

وقدم "ماسلو" نظرية الحاجات (هرمية ماسلو) ، حاول فيها أن يصيغ نسقا مترابطا يفسر من خلاله طبيعة الدوافع أو الحاجات التي تحرك السلوك الإنساني وتشكله. وهذه الحاجات والدوافع وفقا لأولوياتها في النظام المتصاعد كما وصفه "ماسلو" هي كما يلي: 1 الحاجات الفسيولوجية. 2 حاجات الأمان. 3 حاجات الحب والانتماء. 4 حاجات التقدير. 5 حاجات تحقيق الذات والحاجات العليا.

5-2- نقد المدرسة: واجهت هذه المدرسة مثلها مثل المدارس الأخرى عدة انتقادات من الباحثين، من أهمها أنه لم تُثبت أي من الدراسات التي أجريت صدق هرمية هذه الحاجات، فقد يكون العامل إنسان فقير لم يشبع بعد حاجاته الطبيعية ولكنه مع ذلك يتمسك بقيم اجتماعية ويسعى الى تحقيق حاجات عليا. وهذا ليس مجرد مثال نادر الحدوث فكثيراً ما نجد أحد الأفراد رغم إشباع حاجاته الطبيعية إلى درجة كبيرة جداً إلا أنها مازالت هي المتحكمة في سلوكه ولا يدفعه للعمل غيرها .سيكولوجية الشخصية تمهيد ما هي الشخصية تعريف الشخصية.

6- المدرسة المعرفية: رفضت المدرسة السلوكية دراسة العمليات العقلية الداخلية، حيث كانت مبادئها تحتم دراسة الظواهر الخارجية بطريقة موضوعية قابلة للملاحظة والقياس، أما أصحاب المدرسة المعرفية فيهتمون بدراسة هذه العمليات المعرفية الداخلية التي ترافق الأنماط السلوكية ولكن بأسلوب علمي موضوعي.

ولا يتفق اصحاب المدرسة المعرفية مع السلوكية في الاعتقاد بأن الإنسان مجرد مستقبل للمثيرات، فالعقل بما لديه من خبرات سابقة يؤثر ويغير هذه المثيرات إذ يعالجها ويحولها إلى أشكال وأنماط جديدة، وإن العمليات العقلية التي تتم داخل الفرد خاصة استقبال المثيرات الحسية وعمليات التحويل والتصنيف والاختيار وإعادة التنظيم والاختيار والربط وإعادة التنظيم وتخزين المعلومات.

وتعد المدرسة المعرفية من الاتجاهات الحديثة، حيث ساعد التقدم في مجال الحاسب الآلي علماء النفس على بناء تصورات جديدة للعمليات العقلية ووظائفها، وقد ظهرت كرد فعل عن المدرسة السلوكية

وتفسيراتها للتعلم، ويشير مصطلح المعرفة إلى العمليات العقلية كالإدراك والتذكر، وتجهيز المعلومات، وهي العمليات التي يكتسب فيها الفرد معلومات ،ويحل مشكلات ويخطط لمستقبل ويبرهن علماء النفس المعرفيون على أننا لسنا مجرد كائنات تقوم بالاستقبال السلبي للمنبهات، فان العقل يقوم بتجهيز المعلومات التي يتلقاها بطريقة فعالة ويحولها إلى أشكال جديدة.

6-1- تعريف المدرسة المعرفية: هي مجموعة من الاتجاهات التي ركزت على دور العمليات العقلية في السلوكات القابلة للملاحظة المباشرة، واعتبرتها مادة للدراسة في علم النفس.

ومن أهم ممثلي هذا الاتجاه العالمين الألمانيين كوهلر وكوفكا " والعالم السويسري "جون بياجيه" والعالم الامريكي "برونر".

6-2- **المعرفية عند الجشطلت:** ترتكز نظرية الجشطلت على مصطلح الشكل أو الصورة وهو الادراك العام لأجزاء الموقف وأن التعلم يكون عن طريق الاستبصار، وتم التوصل إلى ذلك من خلال التجارب التي قام بها كل من "كوفكا وكوهلر" على العديد من التجارب من بينها التجربة على القردة.

6-3- مبادئ المدرسة المعرفية:

- الفرد يدرك ادراكا حسيا الموقف ككل أي وحدة واحدة فلا ينبغي تجزئته إلى أجزاء.
- التعلم يكون بالاستبصار وبالتالي التعلم تغير في حالة الادراك والمعرفة.
- القدرات العقلية كالإدراك والتذكر ....هي من تتحكم في عملية التعلم.
- مراحل النمو المعرفية والعقلية مرتبطة بالنضج العقلي لحدوث التعلم، لان تفكير الطفل يختلف عن تفكير الراشد.
- توجد علاقة وثيقة بين البنية العقلية للمتعلم وبين تغيرات الاشياء التي تحدث في بيئته وتطوره العقلي المرتبط بهذه التغيرات.
- يحدث التطور العقلي عندما يحدث لدى المتعلم تناقض بين بنيته المعرفية وما يواجهه في الموقف المشكل مما يدفعه لإزالة هذا التناقض(الدافعية الداخلية للتعلم).